

سنة ١٩٠٨ م كنتيجة لازمة عامة لهذه الخدمات الدينية السليمة. في أوائل القرن الحادى عشر الميلادى فتح الهند السلطان محمود ابن سبكتكئين الفرنوى التركى، فأنهارت أباطيل البراهمة أمام كتائب الإسلام المظفرة. واتفق آرمه من الأفغان السلطان محمد النورى الذى ضم دهلى إلى ممالكه سنة ١١٩٤ م. ونسج على منواله القامد بختيار الأفغانى الذى طهر البنغال وكوجرات من البوذية، فكانت هذه الحركة الجهادية إرهابا بقيام دولة إسلامية في الهند عاصمتها دهلى، ظل الزمان يحالفها من القرن العاشر إلى أوائل القرن التاسع عشر. حيث أخذت الضربات الإنجليزية تتوالى على هذا الصرح المتيقن، الذى لم يكن بد من أن يتصدع بمد أن صمد طويل أمام الطفيان، وشهد الدهر كم كانت مهمة الأفغان مرادفة للجنجال الررامى التى - على الرغم من تلوج عمائمها - أوقدت نار الحمية في نفوس أبطالها.

فإذا كان القرن التاسع عشر، بعث نابليون بونابرت الجنرال غاردان لمفاوضة إيران للدخول في محالفة مع فرنسا لفتح الهند، فأسرعت إنجلترا إلى الأفغان لتتخذ منها درعا ضد إيران، ولما قامت الثورة الأفغانية التجأ أخو الصدر الأعظم إلى الإنجليز يستعديهم على أخيه دوست محمد خان وهو إذ ذاك حليف لروسيا.

اهتبت إنجلترا هذه الفرصة وجردت حملتها على الأفغان سنة ١٨٣٩ م، وبمد عامين، زاد فيها حتى الأفغانيين الأحرار على الناصبين الإنجليز، قتل المتمد البريطاني في كابل، ومعه عدد من ضباط الاحتلال. ولم يزل الأفغانيون يناصبون الإنجليز العداء حتى نصبوا الحكيم لهم في (خورد كابل) فاستأصلوا حوالي سبعة عشر ألفا من الإنجليز الذين استمانوا بحمايتهم في الهند على نصف قلاع الماسحة، وبذلك تآروا لأنفسهم.

أما وقد شخخ الأفغانيون بأنوفهم للاحداث، وعانوا الاستبداد ولم يستقيموا للضم فإن الإنجليز رأوا أنفسهم مضطرين لتغيير نظرتهم إزاء الأفغان الحر الأبي، وحاولوا أن يبشوا عقارب السوء فذهبت محاولاتهم أدراج الرياح، وأوقموا خلال الصفوف

الهضة الأفغانية

بقلم الأستاذ محمد محمود زتون

—><—

شهد الإسلام في القرن الثامن عشر الميلادى ركودا، شمر معه النيورون بضررة البعث والنهوض. فقد هب محمد بن عبد الوهاب بمحركة « تجديد الدين الإسلامى » وأخذت دعوته تنتشر من نجد إلى ما وراءها من سائر بقاع الإسلام، حتى قامت نهضة دينية إسلامية في البنجاب؛ وجدت صداها في بلاد الأفغان. ولا سيما عندما غاب الإنجليز الأمرين في فتح الهند، إذ رقت الحركة الوهابية الهندية في رجة الاستعمار، بينما أخذ السنوسى في الجزائر بنظم « الإخوان » (١) ويدهم لفتح كل مرفق اجتماعى واقتصادى مستمداً نشاطه من التمايم الإسلامية. وإذ بيت الاستثمار الإيطالى نية التدر والانتفاض على بلاد المغرب، فقد استمدت السنوسية لهذا الخطر، فأعلنت الجهاد المقدس، وأخذت للأمر ما يتطلبه من السلاح والنموين والزهد جيمما.

وتبلورت هذه اليقظة (٢)، فلم يكن بد من انضواء المسلمين تحت لواء « الجامعة الإسلامية ». نهض جناحها الأيمن شرقاً على يد الوهابية التى لم تأل جهداً في تطهير الدين مما اعتوره من شوائب كادت تطمس جوهره في عصور الظلام. بينما نهض جناحها الأيسر على يد السنوسية التى أدركت صميم الإسلام كدين ودنيا وعقيدة وعمل. عبادة وسياسة، وحن وجهاد، ومصحف وسيف وبالسنوسية والوهابية قامت حركة التحرير والتنوير في هذا القرن الصاخب بالاستعمار وأساليبه

ومما هو جدير بالذكر، أن هذه الحركة لم تخاطبها نزوات التصب، بل ذهبت إلى أبعد حد في التسامح، واقترنت بالدعوة إلى الاقتباس من الغرب كل ما ينفع ولا يضر. دعا إلى ذلك المصلح الإسلامى الهندى، السيد أحمد خان، غير عابى بالوجود الذى خيم ردحا من الزمن على كل أقط إسلامى، حتى ثلاثيات شرارة الإصلاح في كل مكان، وقامت ثورة « تركيا الفتاة »

(١) السنوسية دين ودولة : الدكتور محمد فؤاد شكرى .
(٢) حاضر العالم الإسلامى : لوتروب شوارد وشروح شقيب أرسلان .

حتى اندلعت نار الثورة الوطنية من جديد فخاضوا بمقرب خان ، ونفرو إلى الهند ، وأخذوا يولون ويذلون بعد موت (شير علي خان) سنة ١٨٧٩ حتى هدأت البلاد على يد الأمير (عبد الرحمن) وتم الجلاء عن البلاد ، وبذلك توطد نفوذه ، وأقام مصانع السلاح والذخيرة ، ودرب الجيش ، ووسع الحدود شرقاً ، ويات البلاد في أمان والطمئنان حتى مات سنة ١٩٠١ .

وخلفه ابنه الأمير (حبيب الله خان) الذي لم يشأ أن يطمئن الإنجليز من الخلف حين شبت الحرب العامة ، ولم يصح إلى تخريب الألسان والأراك حتى اغتيل وهو في مشتاه بجبال آباد . وخلفه ولده (أمان الله خان) ، فبايحه الشعب دون أخيه ولي عهد أبيه نصر الله خان ، وبقيت موجودة من أحدهما على الآخر .. فلما استقرت الأمور ، وأجمعت العناصر المختلفة على المطالب الوطنية ، صمرت بريطانيا خدها ، فبدأ الجيش الأفغانى زحفه مخترقاً حدود الهند ، وأبلى أحسن البلاء . وكانت الحرب سجلاً دسماً للحاربون الإنجليز بعد أن تواتت عليهم الغزبات من جراء سياستهم الناشئة ، فطلبوا الهدنة وتم الصلح سنة ١٩٢١ على استقلال الأفغان في سياسة الداخل والخارج ، مع تحديد المنطقة الحرام بين الهند والأفغان .

وإيماناً من الملك بنفسه ، واعترافاً بالاستقلال التام الذي يؤخذ بالجهاد ، ولا يستجدي من أحد ، أسرع — قبل عقد الصلح — إلى إرسال سفرائه إلى طهران وأقره ، كما عقد معاهدة مع تركيا وروسيا ، فكان لهذه السياسة نتائجها العملية في جعل الاستقلال حقيقة واقعة .

ولما فرغ للشاه من المشاكل الداخلية في بلاده ، شرع يعمل على توطيد الروابط السياسية بينه وبين إنجلترا من جهة ، والدول الإسلامية من جهة أخرى ، ولا سيما تركيا ومصر ، وبذلك لم يهمل الأوامر المتينة التي تربط الأفغان بالمسلمين ، حرصاً منه على المشاركة الفعالة في آلامه وآماله . وفي سنة ١٩٢٩ خاضه الشعب المسلم المستنير لما رأى من تطرفه الأوربي وخلفه

ببغون الفتنة ، فارتدت سهامهم إلى محورهم . ولكن الأفغانيين وقفوا صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص إذ تصافر الشعب والسلطان . وكان الدورانيون — وهم الأسرة المالكة ويبلغون ثلث الأفغان — أشد اعترافاً بالوحدة أمام الدساتير الإنجليزية من جهة ، والأسلحة الفتاكة التي يتذرع بها الذخيل البارد من جهة أخرى .

حقاً لقد كان الشعب الأفغانى أعزل من كل سلاح إلا التضامن والإيمان بالحق ، والجهاد حتى يتحرر الوطن من الطغاة المعتدين .

ولما مات (دوست محمد خان) سنة ١٨٦٣ دب الشقاق بين أولاده ، وظن الإنجليز أنها ثمرة يستطعمون النفاذ منها إلى إشباع سمارم ، ولكن فوت عليهم هذه الفرصة ما توارثه الأمراء الأفغانيون من بغض الاحتلال ، وأعداء الوطن . أليس أبوهم القائل للورد لورنس : « إن كنتم تريدون أن تبقى أصحاباً ، فلا تكروهني على قبول ضباط إنجليز في بلادى » ؟ وضرب (شير علي خان) أروع المثل في الإباء إذ استمعى عوده على الإنجليز الذين غمزوا جانبه فلم يلب لهم ، ولم يهن هو على نفسه . فأحققوا على السلطان ابنه (يعقوب خان) وحرضوه على أبيه ، واحتضنوه وأفسحواله صدرا باردا منذ أخذوه إلى إنجلترا ، ولقنوه تعاليمهم الاستعمارية ظاهرها وباطنها ، كما أغروا الفقراء بالعمل في الحاميات البريطانية بالهند لقاء أجور عالية استهدأوا لتجنيدهم ضد بلادهم في القريب المنتظر على ما كانوا يزعمون .

وفي سنة ١٨٧٨ أعد الإنجليز عدتهم للإجهاز على الأفغان ، فإذا بأمراء الهند ومرزقة البنجاب والسيخ وأخلط من النبوذيين وعباد البقرة والعنزة يدخلون كابل بقيادة اللورد دورنس .

وفر (شير علي خان) إلى مزار شريف في القسم التركي من بلاده ، وكان قد استدعى ابنه يعقوب وأمنه على نفسه ثم سجنه حتى إذا دخل الإنجليز كابل أطلقوا سراحه ونصبوه أميراً وعقدوا معه معاهدة (غاندامق) ، وأملوا عليه طبعاً كل رغائهم التي يشوامن نيلها من أبيه ، فبر أنهم لم يكادوا يثمتعون بما ظفروا به

لتحريك النفوس الهامدة ، وتاجيبج النار الخامدة تحت رمد الخطوب .

وما وافت سنة ١٩١١ حتى صدقت الحوادث نبوءات السيد جمال الدين ، وكان كالذي أمر قومه بأمره وتحذيره ، حتى استبانوا الرشد في ضحوة الصباح ، فقد انتهكت إيطاليا حرمة طرابلس ، وشقت الدول النصرانية البلقانية عصا الطاعة على تركيا بتحريض من دول الاستعمار على دول الخلافة ، أملا في خضد شوكتها ، وتوهين نفوذها في سائر البلاد الإسلامية ، فلم تلبث هذه البلاد أن استنفرت آسادهما في سبيل الله والوطن ، فكان ما لم يكن له حساب عند الأوربيين الذين استيقظوا من سباتهم على القوة الإسلامية الكاسحة مما جعل (السير موريسون) يقول « لا امراء في أن الإسلام أكثر من عقيدة دينية بل هو نظام اجتماعي تام الجهاز ؛ هو حضارة اكتمل نسيجها ، حضارة لها فلسفتها وتنهذبها وفنونها » ثم أخذ يستعرض صعود هذا الدين التين في مواجهة الأحداث « حتى صار وحدة جامعة نامية نمو الجسم الطبيعي سائراً سيره بفعل نظامه الذاتي الكامن فيه » .

محمد محمود زرينور

من الأدب الفرنسي

للأستاذ أحمد حسن الزيات



مجموعه من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة

عن نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

الثمن ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

جلالة الملك الحامي محمد ظاهر .

في مترك هذا النضال أنجبت الأفغان فيلسوف الشرق (السيد جمال الدين الأفغانى) الذى يعتبر أول باعت لفكرة الجامعة الإسلامية ، وأستاذ الفكرين الأحرار ممن تلقوا على يديه تعاليم النهضة الفكرية ، ورفعوا مشاعل الاستقلال في وجه الاستعمار الجاثم على صدر العالم الإسلامى .

كان أبوه السيد صفدر ممن يخشى نفوذهم (دوست محمد خان) ، ولما بلغ جمال الدين الثامنة عشرة . كان قد استكمل علومه في كابل ، فارتحل إلى الهند حيث تعرف على أحوالها في خلال السنتين اللتين قضاها بها . ثم وصل إلى مكة سنة ١٨٥٧ ووقف هناك على ينبوع الجامعة الإسلامية . فأنشأ بها جمعية أم القرى . ولما بلغ السابعة والعشرين اختاره أعظم خان ليكون رئيس وزرائه لسمه أتمه ، وإدراكه لعظام الأمور .

ومن الطبيعي أن تعمل له دول الاستعمار ألف حساب ، وأن تحاربه بكافة الطرق المباشرة وغير المباشرة . وحشدت في وجهه الفلول الجامدة ، كلا قصد بلداً إسلامياً ، وكثيراً ما كان يتهافت عليه الناس تهافت الفراش على النار .

وفي الحق أن جمال الدين كان كذلك ، فلم ينزل بيلد إلا أرت فيه الجذوة الكامنة ، وجملا جوهره النفيس الذى ينطوى عليه كل مؤه يدينه ، وحذر من تألب المستعمرين على الشرق ، واتقاضهم على الإسلام بحرب صليبية جديدة .

وتتلذذ عليه في مصر رواد الحركة الإصلاحية والجهادية من أمثال محمد عبده وأحمد عرابى وسعد زغلول ومصطفى كامل وعبد الله النديم ، الذين يرجع إليهم الفضل في القضاء على الجمود الفكرى ، ونبذ الخرافات ، واجتمعت أهدافهم على توجيه الأمة إلى التطلع بعين البصيرة ، وقلب الحمية ، إلى عالم الدور والحرية ، كما نشطت الصحافة حتى كانت لرجال الثورة وقوداً غير منقطع ، وتبدلت المنهج الإسلامية في شق الأنظار لتوقوف على أحدث الخطوات ، واعتلى ذعاة الحرية منابر الثورة .